



الترجيح بصيغة أفعال التفضيل عند الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب). أ.د/ عبد الله المنصوري

Humanities and Educational
Sciences Journal

ISSN: 2617-5908 (print)



مجلة العلوم التربوية
والدراسات الإنسانية

ISSN: 2709-0302 (online)

الترجيح بصيغة أفعال التفضيل عند الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) (*)

أ.د/ عبد الله عثمان علي المنصوري
الأستاذ في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى
مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية
abdullah1971m@gmail.com

تاريخ قبوله للنشر 27/12/2022

<http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index>

(*) تاريخ تسليم البحث 2/12/2022

(*) موقع المجلة:

العدد (28)، يناير 2023 م

350

مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية



الترجيح بصيغة أفعال التفضيل عند الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب)

أ.د/ عبد الله عثمان علي المنصوري
الأستاذ في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى
مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

ملخص

يهدف هذا البحث إلى حصر صيغ الترجيح ب(أفعال التفضيل) مع أمثلة تطبيقية عند الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب)، وسيكون إن شاء الله فاتحة لأبحاث أخرى في نفس المجال لدى مفسرين آخرين، بغية التأسيس لمعجم جامع لألفاظ الترجيح عند المفسرين، واصطلاحاتهم في ذلك، وقد استعمل الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والمقارن لسبر أغوار الموضوع، وخرج البحث بجملة من النتائج، أهمها: كثرة ألفاظ الترجيح بصيغة (أفعال التفضيل) عند الفخر الرازي، حيث بلغت (٣٠) لفظاً، وكانت صيغتها (الأولى والأقرب) معرفة ومنكّرة أكثر الصيغ وروداً وتمثيلاً عند الفخر الرازي.

كلمات مفتاحية: الترجيح، الصيغة، أفعال التفضيل، مفاتيح الغيب، الفخر الرازي.



الترجيح بصيغة أفعال التفضيل عند الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب). أ.د/ عبد الله المنصوري

The Weighing in the Form of the Most Effective Preference for Al-Fakhr Al-Razi in His Interpretation (Mafatih Al-Ghayb)

Prof. Abdullah Othman Ali Almansori

Professor in the Department of Islamic Da'wa and Culture College of Islamic Da'wa and the Fundamentals of Religion Umm Al-Qura University, KSA

Abstract:

This study aims to enlist the weighting formulas to (I do the preference) with practical examples of Al-Fakhr Al-Razi in his interpretation (Mafatih Al-Ghayb), which is a harbinger to other studies in the same field among other interpreters, in order to reach a comprehensive dictionary of the words of weighting among the commentators, and their conventions with this regard.

The researcher has used the inductive, analytical and comparative method to explore the subject. The study comes out with a number of results, the most important of which are: the large number of words of weighing in the formulas 'I do the preference' for Al-Fakhr Al-Razi, which reach (30) words, and the two forms (the first and the closest) are definite and indefinite which are the most frequent and representative formulas of Al-Fakhr Al-Razi.

Keywords: Weighing, Formula, I Do Preference, Mafatih Alghib, Al-Fakhr Al-Razi.



مقدمة:

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد: فإن كتاب مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للفخر الرازي يعد سفرًا عظيمًا حيث حوى علومًا شتى، وترجيحات كثيرة تنبئ عن جلاله قدر مؤلفه، وتضلعه في فهم كتاب الله تعالى، ومعانيه ومدلولات آياته، وأحكامها، فنجده يُعمل قواعد الترجيح عند التعارض أو تراحم المعاني، وهو أمر قد تفاوت المفسرون فيه بين مقل أو مكثر، إلا أن الرازي كان من المكثرين في الترجيح، وقد لفت انتباهي ما يوليه من عناية فائقة لصيغة (أفعال التفضيل) عند ترجيحاته، وقد تتبعت عددها فوجدتها (٣٠) صيغة، وهو يسرد عند تفسير الآية ما ورد فيها من أقوال دون تعقيب إن لم يظهر بينها تعارض، وإن تعارضت وأمكن الجمع فإنه يجمع بينها، وإن لم يكن ثمة سبيل إلى الجمع فإنه يفرع إلى قواعد الترجيح، ومنها صيغة (أفعال التفضيل)، وكان ينظر إلى ما يحف بالمفردة أو التركيب القرآني من سياق أو لحاق يعين على تحديد الدلالة، أو سياق الحال أو السياق القرآني العام، وقد برز هذا النهج عنده بوضوح، وتكرر معه كثيرًا، مما دفعني إلى تتبع ذلك في تفسيره، وكنت كلما وجدت موطنًا يعود فيه إلى الترجيح بصيغة (أفعال التفضيل) أتشوق إلى المزيد، فجمعت حصيلة كبيرة من ذلك، ورأيت أنها بحاجة لأن تفرّد ببحث مستقل، فجعلته تحت: (الترجيح بصيغة أفعال التفضيل عند الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب)، ولكني في هذا البحث لن أستعرض أمثلة كل صيغة كاملة، بل سأذكر مثالًا واحدًا لكل صيغة؛ لأن جمع ذلك كله ودراسته سيحتاج إلى رسالة علمية كاملة.

إشكالية البحث:

ينطلق هذا البحث من إشكالية مهمة، وهي إن الترجيح بصيغة (أفعال التفضيل) لم تدرس عند هذا المفسر الكبير، وهذا البحث يسعى لسد هذه الفجوة البحثية بمشيئة الله تعالى.

أهداف البحث:

- يروم هذا البحث تحقيق الأهداف الآتية:
- ١- بيان مفهوم الترجيح بأفعال التفضيل عند الفخر الرازي.
 - ٢- حصر صيغ الترجيح بأفعال التفضيل عند الفخر الرازي في كتابه مفاتيح الغيب.
 - ٣- توضيح علل الترجيح بأفعال التفضيل عند الفخر الرازي.
 - ٤- عرض نماذج تطبيقية لكل صيغة من صيغ أفعال التفضيل مع مقارنتها بما جاء عند المفسرين قدر الإمكان.

الدراسات السابقة:

هناك دراسة عن الترجيح عند الفخر الرازي تحت عنوان: (دراسات في قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني في ضوء ترجيحات الرازي)، للدكتور عبد الله عبد الرحمن الرومي، المكتبة التدمرية، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ، ولكنها لم تتطرق لحصر صيغ الترجيح بـ(أفعال التفضيل)، بل اكتفى الباحث بعرض نماذج فقط.

منهج البحث:

استعمل الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والمقارن لمعالجة قضايا البحث. خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة ومبشرين وخاتمة المقدمة، وفيها: إشكالية البحث وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته. المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للبحث، وقد تضمن تعريف الترجيح، وصيغة أفعال التفضيل، وترجمة مختصرة للفخر الرازي. المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية: الترجيح بصيغ (أفعال التفضيل) عند الفخر الرازي: الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للبحث

أولاً: تعريف الترجيح في اللغة والاصطلاح:

الترجيح في اللغة: مأخوذ من رَجَحَ، وهو يدل على رَزَانَةٍ وَزِيَادَةٍ^(١)، وَالرَّاجِحُ الْوَازِنُ، وَأَرْجَحُ الْمِيزَانَ أَي: أَثْقَلُهُ حَتَّى مَالٍ، وَأَرْجَحْتُ لِفُلَانٍ، وَرَجَّحْتُ تَرْجِيحاً إِذَا أَعْطَيْتَهُ رَاجِحاً^(٢).

ولم يرد لفظ ترجيح أو رجح في القرآن الكريم وإنما ورد ما يدل على ما يقارب معناه، وهو الميل، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَنْ نَسْتَطِيعُوا أَنْ نَعْدِلُوا بَيْنَ الْنِسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩].

ويتضح من خلال البحث في قواميس اللغة أنّ لفظ (رجح) يتضمن معاني: الميل^(٣)، والرزانة، والزيادة، والحلم^(٤)، الوزن، والتقل والتذبذب^(٥)، والهز والتحرك^(٦)، والاكتمال^(٧). الترجيح في الاصطلاح: بيان القوة لأحد المتعارضين على الآخر^(٨). المقصود بالترجيح في هذا البحث: تقوية أحد الأقوال في التفسير لأمارات تدل على ذلك.

(١) مقاييس اللغة: ٤٠٦/٢.

(٢) لسان العرب: ٤٤٥/٢.

(٣) الصحاح: ٣٦٤/١.

(٤) مقاييس اللغة: ٤٠٦/٢.

(٥) المحكم والمحيط الأعظم: ٧٥/٣.

(٦) المعجم الوسيط: ٣٢٩/١.

(٧) معجم اللغة العربية المعاصرة: ٨٥٧/٢.

(٨) الكليات: ٣١٥.



ويقصد المفسر إلى الترجيح إذا تعارضت الأقوال، أو عارض بعضها نص أو إجماع، أو لم يكن بينها تعارض، وكان بعضها أولى أو أقرب من بعض إلى مراد الشارع تبارك وتعالى.

ثانياً: تعريف (أفعال التفضيل) في اللغة والاصطلاح:

التفضيل في اللغة: مأخوذ من الفَضَّل: وهو ضد التَّقْصان، والجمع فُضول، والفَضيلة: الدَّرَجَة الرَّفِيعَة في الفضل. وقد فاضَلَنِي فضَلْتَهُ أَفْضَلُهُ فَضْلاً، أي: كنت أفضل منه^(١)، وهو مصدر على وزن (تفعيل)، ويقال: فضلته على غيره تفضيلاً، أي: حكمت له بذلك وصيرته كذلك، وجعلته أفضل منه، و(أفعل) الذي معه (من) لا يُجمع ولا يؤنث، مادام نكرة. تقول: مررت برجل أفضل منك، وبرجال أفضل منك، وبامرأة أفضل منك، فإن أدخلت عليه الألف واللام أو أضفته ثنيت وجمعت وأنثت، تقول: مررت بالرجل الأفضل وبالرجلين الأفضلين وبالرجال الأفضلين وبالمراة الفضلى وبالنساء الفضل^(٢)، ويقال: أفضل عليه: زاد^(٣). فالأفضل: هو الأحسن، والأوفق، والأتم والأحق بالحكم بالشيء له، والأزید.

التفضيل في الاصطلاح:

أفعل التفضيل أو اسم التفضيل له تعريفات عند النحاة والصرفيين؛ قال ابن الحاجب: "ما اشتق من فعل لموصوف بزيادة على غيره، وهو (أفعل)"^(٤)، وقال خالد الأزهرى: "وهو الوصف المبني على (أفعل) لزيادة صاحبه على غيره في أصل الفعل"^(٥)، وقال الحملاوي: "هو الاسم المصوغ من المصدر للدلالة على أن شيئين اشتركا في صفة، وزاد أحدهما على الآخر في تلك الصفة"^(٦).

فالدعائم أو الأركان التي يقوم عليها التفضيل الاصطلاحي - في أغلب حالاته - ثلاثة: الأولى: صيغة: "أفعل"، وهي اسم مشتق، والثانية: شيان يشتركان في معنى خاص، والثالثة: زيادة أحدهما على الآخر في هذا المعنى الخاص^(٧).

والأفضل عند الفقهاء: ما حصل فيه الفضل على غيره^(٨).

التعريف الإجرائي لعنوان البحث:

نقصد بالترجيح عند الفخر الرازي بصيغة أفعال التفضيل: القول الذي يختاره الفخر الرازي أو يرجحه من جملة الأقوال في معاني ألفظ أو الآية أو الحكم، ويعبر عند اختياره بـ(أفعل) التفضيل، كالأولى والأقرب والأزجح، وغيرها.

(١) المخصص: ٤٤/٤.

(٢) الصحاح: ١٧٩١/٥.

(٣) لسان العرب: ٥٢٥/١١.

(٤) الكافية في علم النحو، ص ٤٢.

(٥) شرح التصريح على التوضيح: ٩٢/٢.

(٦) شذا العرف في فن الصرف، ص ٥٤.

(٧) النحو الوافي: ٣٩٥/٣.

(٨) الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقى: ٨٤/٢.



والتفضيل عند الفخر الرازي مبني على قواعد التفسير سواء كانت المتعلقة بالنص أو اللغة ودلالة السياق أو غيرها. وهذا مبني على مقدرته، وفهمه كتاب الله تعالى، وتدبره، وبراعته الكلامية، وذائقته البلاغية التي تمكنه من اختيار الألفاظ والأساليب الدالة على المفاضلة بين المعنيين في آية ما، وزيادة إحداها على الأخرى في هذا الأمر. ثالثاً: صيغ (أفعال التفضيل) عند الفخر الرازي: تتبعت هذه الصيغ فوجدتها (٣٠) صيغة، معرّفة بأل وغير معرّفة، وهي: (أبلغ، أيّن، أمّ، أجزل، أجود، أحسن، أحق، أدق، أدل، أرجح، أرق، أسد، أشبه، أشد، أشرف، أشهر، أصح، أصوب، أظهر، أعم، أفضل، أقرب، أقوى، أكمل، ألطف، أليق، أوجه، أوضح، أوفق، أولى).

رابعاً: نبذة مختصرة عن الفخر الرازي: هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، الإمام فخر الدين الرازي، القرشي، البكري، من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الشافعي، المفسر، المتكلم. ولد سنة (٥٤٤هـ)، واشتغل على والده، وشيوخه كثر، وعلى رأسهم محيي السنة البغوي، وتوفي سنة (٦٠٦هـ)^(١). كان على جانب كبير من المعرفة والفهم، وحدة الذكاء، وقوة العارضة، وسعة الاطلاع، قال عنه ابن خلكان: "فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة منها تفسير القرآن الكريم جمع فيه كل غريب وغريبة، وهو كبير جداً لكنه لم يكمله... كل كتبه ممتعة، وانتشرت تصانيفه في البلاد، ورزق فيها سعادة عظيمة، فإن الناس اشتغلوا بها ورفضوا كتب المتقدمين، وهو أول من اخترع هذا الترتيب في كتبه، وأتى فيها بما لم يسبق إليه"^(٢).

وعظمت مكانة الفخر الرازي بين علماء عصره، وعند من جاؤوا بعده، قال ابن أبي أصيبعة: "أفضل المتأخرين، وسيد الحكماء المحدثين، قد شاعت سيادته، وانتشرت في الآفاق مصنفاته وتلامذته... وكان الإمام فخر الدين علامة وقته في كل العلوم"^(٣)، وقال عنه ابن الأثير: "الفقيه الشافعي، صاحب التصانيف المشهورة في الفقه والأصول وغيرها، وكان إمام الدنيا في عصره"^(٤)، وقال تاج الدين السبكي: "إمام المتكلمين، ذو الباع الواسع في تعليق العلوم، والاجتماع بالشاسع من حقائق المنطوق والمفهوم، والارتفاع قدرًا على الرفاق"^(٥)، وقال الصفدي: "كان شديد الحرص جداً في العلوم الشرعية والحكمة، اجتمع له خمسة أشياء ما جمعها الله لغيره فيما علمته من أمثاله، وهي: سعة العبارة في القدرة على الكلام، وصحة الذهن، والاطلاع الذي ما عليه مزيد، والحفاظة المستوعبة، والذاكرة التي تعينه على ما يريده في تقرير الأدلة والبراهين، وكان فيه قوة جدلية، ونظره دقيق"^(٦).

(١) السيوطي، طبقات المفسرين، ص ١٥٥.

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٢٤٩/٤، ٢٥٠.

(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٤٦٢، ٤٦٥.

(٤) الكامل في التاريخ: ٢٧٥/١٠.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى: ٨١/٨، ٨٢.

(٦) الوافي بالوفيات: ١٧٦/٤.



مؤلفات الفخر الرازي: للفخر الرازي جملة من المؤلفات في مختلف العلوم، وسوف نذكر بعض ما هو مطبوع منها:

- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (وهو موضع هذه الدراسة).
- المحصول، في أصول الفقه
- معالم أصول الدين.
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين.

خامساً: علل الترجيح بأفعال التفضيل:

وهي كثير جداً، ومنها:

- أ- رعاية النظم من التفكك، قال: "والأول هو الأوجه وإلا لتفكك النظم"^(١)، وقوله: "وعندي فيه وجه خامس وهو أقرب إلى رعاية النظم"^(٢)، وقوله: "والقول الأول أقرب إلى نظم الآية"^(٣).
- ب- القرب إلى الظاهر أو إلى العقل، قال: "والأول أقرب إلى الظاهر"^(٤)، وقوله: "وهذا أقرب إلى الظاهر"^(٥)، وقال: "واعلم أن الوجه الأول أقرب إلى الحقائق العقلية"^(٦)، وقال: "والقول الأول أقرب إلى العقل، وأشد مناسبة إلى الاستقراء"^(٧).
- ج- تكامل معنى الآية وسعة دلالتها، "الأول أقرب حتى تكون القصة قصة واحدة، مشتملة على محاسن العادات، ومكارم الأخلاق، من كل الوجوه"^(٨).
- د- موافقة اللفظ والمعنى أو أحدهما، قال "وهذا الوجه أقرب إلى المعنى واللفظ من الأول"^(٩)، وقوله: "وهذا الثاني أولى لأنه أقرب إلى موافقة اللفظ"^(١٠)، وقوله: "والأول أقرب إلى اللفظ"^(١١)، وقوله: "والأول أقرب إلى المعنى"^(١٢)، وقوله: "وهذا الاحتمال الأخير أقرب لأنه أليق بالكلام"^(١٣)، وقوله: "اعلم أن الوجه الأول أقرب إلى مقصود الكلام"^(١٤).

- (١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ١٨٦/٢٢.
- (٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ١١/٤.
- (٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٣٤٧/٥.
- (٤) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٣٨٨/٢.
- (٥) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٢٨٠/٥.
- (٦) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٢١٦/٢٠.
- (٧) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٢٣٧/٢٠.
- (٨) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٥٨٨/٣.
- (٩) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٦٠١/٣.
- (١٠) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٦٠٨/٣.
- (١١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ١٩١/٨.
- (١٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ١٩٩/٢٠.
- (١٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ١٠٦/٤.
- (١٤) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٢١٤/٥.



هـ- إجماع المفسرين: قال: "الذي أجمع المفسرون عليه أقرب"^(١).

و- الاحتياط، قال: "هذا أقرب إلى الاحتياط لأننا إذا حملنا الآية على العموم دخل فيه ذلك الشخص، وأما إذا خصصناه بذلك الشخص لم يثبت الحكم في غيره، فثبت بما ذكرنا أن حمل الآية على العموم أولى"^(٢). وقوله: "ولأن هذا أقرب إلى الاحتياط، فكان أولى"^(٣).

ز- مراعاة اتحاد الضمائر واتساقها، قال: "كلاهما محتمل إلا أن الأول أولى. لأن الضمير يكون عائداً إلى أقرب المذكورات"^(٤)، وقوله: "وعود الضمير إلى الأقرب واجب"^(٥)، وقوله: "عود الضمير إلى أقرب المذكورين أولى من عوده إلى أبعدهما"^(٦).

ح- السياق القلبي والبعدي: "والأول أقرب؛ لقوله تعالى..."^(٧)، وقوله: "واعلم أن القول الأول أقرب، لأن ما قبل هذه الآية وما بعدها إنما ورد في إثبات التوحيد، وفي الرد على القائلين بالشرك فحمل هذه الآية على هذا المعنى أولى"^(٨).

ط- صحة القياس: "والقول الأول أقرب؛ حتى يصح قياس أحد الجانبين على الآخر"^(٩).

ي- القرب من الحقيقة الشرعية أو اللغوية والبعد عن المجاز، ومن ذلك قوله: "والأكثر على القول الأول، وهو إلى الحقيقة أقرب"^(١٠). وقوله: "والجواز كلما كان أقرب إلى الحقيقة كان حمل اللفظ عليه أولى"^(١١).

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية: الترجيح بصيغ (أفعال التفضيل) عند الفخر الرازي

١ - صيغة أبلغ، ومن أمثلتها، قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، قال الفخر الرازي: "ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾، وفيه حذف، والمعنى:

- (١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٥٩٣/٣.
- (٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٣٤٤/٥.
- (٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٤٣٨/٦.
- (٤) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٣٢٣/١١.
- (٥) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٥٢/١٣.
- (٦) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٤١٢/١٨.
- (٧) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٤٨١/١٨.
- (٨) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٢٤٧/٢٠.
- (٩) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٤٤/١٦.
- (١٠) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٢٤٧/١٧.
- (١١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٤٠٨/١٨.



فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية، يعني: أنه منسلخ من ولاية الله تعالى رأساً... ويحتمل أن يكون المعنى: فليس من دين الله في شيء، وهذا أبلغ^(١).

وما رجحه الفخر الرازي هو قول كثير من المفسرين، ومنهم: الطبري، والثعلبي، البغوي^(٢)، وهذا الترجيح يؤيده السياق القرآني العام، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وقد دلّت هذه الآية على خطورة تولي الكافرين، حيث توعدّ الله تعالى فاعله بالبراءة منه، وبالحساب يوم القيامة، وهذا فيه دعوة للمؤمنين وحث لهم على موالاته إخوانهم من المؤمنين، وبالمقابل فيه تحذير وترية للمؤمنين من اتخاذ الكافرين أولياء، وأن من يوالي الكافرين فإنه تعالى يكله إلى نفسه، ويخذله خذلاناً مبيئاً؛ فيعرض نفسه لخطر الحرمان من معية الله، ونصرته وتأييده.

٢ - صيغة أئين، ومن أمثلتها، قوله تعالى: ﴿الْحَيْثُوكَ وَالْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُونَ وَالطَّيِّبَاتِ وَالطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦]، قال الفخر الرازي: "وقوله: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ﴾ يعني: الطيبات والطيبين مبرؤون مما يقوله أصحاب الإفك، سوى قول من حمله على (الكلمات)؛ فكأنه قال: الطيبون مبرءون مما يقوله الخبيثون، ومتى حمل (أولئك) على هذا الوجه كان لفظه كمعناه في أنه جمع، ومتى حملته على عائشة وصفوان، وهما اثنان فكيف يعبر عنهما بلفظ الجمع؟ فجوابه من وجهين؛ الأول: أن ذلك الرمي قد تعلق بالنبي ﷺ وبعائشة وصفوان، فبرأ الله تعالى كل واحد منهم من التهمة اللائقة به، الثاني: أن المراد به كل أزواج النبي ﷺ فكأنه تعالى برأهن من هذا الإفك. لكن لا يقدح فيهن أحد كما أقدموا على عائشة، ونزه الرسول ﷺ بذلك عن أمثال هذا الأمر، وهذا أئين؛ كأنه تعالى بيّن أن الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، ولا أحد أطيب ولا أظهر من الرسول فأزواجه؛ إذ لا يجوز أن يكن إلا طيبات^(٣).

وأما الطبري فقد عمّم دلالة الآية، ولم يخصها بأمة المؤمنين عائشة أو بها وببقية أمهات المؤمنين، اعتماداً على قاعدة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)، فقال: "وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: نزلت هذه الآية في شأن عائشة، والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها. وإنما قلنا ذلك أولى تأويلاته بالصواب؛ لأن الله عمّ بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النور: ٢٣] كل محصنة غافلة مؤمنة، رماها رام بالفاحشة، من غير أن يخصّ بذلك بعضاً دون بعض، فكل رام محصنة

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ١٩٣/٨، وللاستزادة من الأمثلة ينظر: (١٧٣/١٠)، (٩٨/٢٩)، (٤٣٠/٢٩)، (٩٧/٣١)، (٢٦٠/٣٢).

(٢) ينظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان: ٣١٣/٦، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٢٣/٨، معالم التنزيل: ٤٢٨/١.

(٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٣٥٥/٢٣.



بالصفة التي ذكر الله جل ثناؤه في هذه الآية فملعون في الدنيا والآخرة، وله عذاب عظيم، إلا أن يتوب من ذنبه ذلك قبل وفاته^(١).

وخصَّ ابن الجوزي الآية بأم المؤمنين عائشة، فقال: "وقوله تعالى: (أولئك) يعني: عائشة وصفوان (مَبْرُؤُونَ): منزهون مجاً يُقُولُونَ من الفرية"^(٢)، وأشار ابن كثير إلى أن لازم الآية يعود على أم المؤمنين عائشة وإن كانت الآية عامة، فإنها أولى بالبراءة والنزاهة^(٣).

والحق أن أم المؤمنين الطاهرة المطهرة عائشة رضي الله عنها تدخل في الآية دخولاً أولياً، وإن كان اللفظ عاماً، ويدخل فيها كل طيب وطيبة، والتعبير بالثبوت في سياق الآية (أولئك مبرؤون)، خير دليل على ذلك، "فما نسبة أهل النفاق إلى عائشة هم أولى به، وهي أولى بالبراءة والنزاهة منهم؛ ولهذا قال: (أولئك مبرءون مما يقولون)"^(٤).

٣- صيغة أتم: ومن أمثلتها، قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود: ١٧]، قال الفخر الرازي: "اختلفوا في ذلك الشاهد فقال بعضهم: إنه محمد عليه السلام، وقال آخرون: بل ذلك الشاهد هو كون القرآن واقعاً على وجه يعرف كل من نظر فيه أنه معجزة، وذلك الوجه هو اشتماله على الفصاحة التامة والبلاغة الكاملة، وكونه بحيث لا يقدر البشر على الإتيان بمثله، وقوله: (شاهد منه) أي: من تلك البيّنة... وثالثها: (ويتلوه شاهد منه) يعني: الإنجيل يتلو القرآن، وإن كان قد أنزل قبله، والمعنى: أنه يتلوه في التصديق... واعلم أن هذين القولين وإن كانا محتملين إلا أن القول الأول أقوى وأتم"^(٥).

وهناك أقوال أخرى في الشاهد غير ما ذكره الفخر الرازي: فقيل: هو جبريل، وقيل: هو لسان النبي ﷺ، وقيل: هو علي بن أبي طالب، وقيل: ملك يسدده ويحفظه، وحمله الطبري على جبريل عليه السلام^(٦)، وهذا القول عليه أكثر المفسرين^(٧).

ورجح ابن كثير أن يكون المراد: جبريل عليه السلام ومحمد ﷺ، فقال: وقوله: (ويتلوه شاهد منه) أي: وجاء شاهد من الله، وهو ما أوحاه إلى الأنبياء، من الشرائع المطهرة المكتملة المعظمة المختتمة بشريعة محمد، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. ولهذا قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وأبو العالية، والضحاك، وإبراهيم النخعي، والسدي، وغير واحد في قوله تعالى: (ويتلوه شاهد منه) إنه جبريل عليه السلام. وعن علي، والحسن، وقتادة: هو

(١) جامع البيان: ١٤٠/١٩.

(٢) زاد المسير في علم التفسير: ٢٨٧/٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٣٤/٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ٣٥/٦.

(٥) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٣٣٠/١٧.

(٦) جامع البيان: ٢٧٦/١٥.

(٧) أبو المظفر السمعاني، تفسير القرآن: ٤١٨/٢، معالم التنزيل: ١٦٧/٤.



محمد ﷺ. وكلاهما قريب في المعنى؛ لأن كلا من جبريل ومحمد، صلوات الله عليهما، بلغ رسالة الله تعالى، فجبريل إلى محمد، ومحمد إلى الأمة.

وقيل: هو علي. وهو ضعيف لا يثبت له قائل، والأول والثاني هو الحق؛ وذلك أن المؤمن عنده من الفطرة ما يشهد للشريعة من حيث الجملة، والتفاصيل تؤخذ من الشريعة، والفطرة تصدقها وتؤمن بها؛ ولهذا قال تعالى: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه)، وهو القرآن، بلغه جبريل إلى النبي محمد ﷺ، وبلغه النبي محمد إلى أمته^(١).

٤ - صيغة أجزل، ومن أمثلتها، قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ [البقرة: ٢٥]، قال الفخر الرازي: "من المأمور بقوله: (وبشِّر)؟ والجواب يجوز أن يكون رسول الله ﷺ، وأن يكون كل أحد كما قال عليه الصلاة والسلام: «بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة»^(٢)، لم يأمر بذلك واحداً بعينه، وإنما كل أحد مأمور به، وهذا الوجه أحسن وأجزل، لأنه يؤذن بأن هذا الأمر لعظمته وفخامته حقيق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به"^(٣).

وهذا الترجيح نقله الفخر الرازي بنصه عن الزمخشري^(٤)، والخطاب في الآية عند الطبري خطاب خاص بالنبي ﷺ، إذ لم يذكر غيره^(٥)، وتبعه الخازن^(٦)، وأبو حيان، حيث قال: "والوجه الأول عندي أولى؛ لأن أمره ﷺ لخصوصيته بالبشارة أفخم وأجزل، وكأنه ما أتكل على أن يبشر المؤمنين كل سامع، بل نص على أعظمهم وأصدقهم ليكون ذلك أوثق عندهم وأقطع في الإخبار بهذه البشارة العظيمة، إذ تبشيره ﷺ تبشير من الله تعالى"^(٧)، وحمل البيضاوي الخطاب في الآية على الجميع^(٨). ولعل الآية تحتمل المعنيين، والله أعلم.

٥ - صيغة أجود، ومن أمثلتها، قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، بيّن الفخر الرازي معنى التزكية في الآية

(١) تفسير القرآن العظيم: ٣١٢/٤.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب ما جاء في المشي إلى الصلاة في الظلام، الحديث رقم: (٥٦١)، ١٥٤/١، سنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء في صلاة العشاء والفجر جماعة، الحديث رقم: (٢٢٣)، ٤٣٥/١، سنن ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب المشي إلى الصلاة، الحديث رقم: (٧٨١)، ٢٥٧/١. وقال الترمذي: "هذا حديث غريب من هذا الوجه مرفوع، وهو صحيح مسند، وموقوف إلى أصحاب النبي ﷺ، ولم يسند إلى النبي ﷺ".

(٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٣٥٧/٢.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١٠٣/١.

(٥) جامع البيان: ٣٨٣/١.

(٦) لباب التأويل في معاني التنزيل: ٣٢/١.

(٧) البحر المحيط في التفسير: ١٧٩/١.

(٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٥٩/١.



الترجيح بصيغة أفعال التفضيل عند الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب). أ.د/ عبد الله المنصوري

قائلاً: "هذه التزكية لها تفسيران؛ الأول: ما يفعله سوى التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة، حتى يكون ذلك كالسبب لطهارتهم، وتلك الأمور ما كان يفعله عليه السلام من الوعد والإيعاد، والوعظ والتذكير، وتكرير ذلك عليهم، ومن التشبث بأمور الدنيا إلى أن يؤمنوا ويصلحوا، فقد كان عليه السلام يفعل من هذا الجنس أشياء كثيرة ليقوي بها دواعيهم إلى الإيمان والعمل الصالح، ولذلك مدحه تعالى بأنه على خلق عظيم، وأنه أوتي مكارم الأخلاق. الثاني: يركبهم، يشهد لهم بأنهم أركبوا يوم القيامة إذا شهد على كل نفس بما كسبت، كتزكية المركزي الشهود، والأول أجود؛ لأنه أدخل في مشاكلة مراده بالدعاء، لأن مراده أن يتكامل لهذه الذرية الفوز بالجنة، وذلك لا يتم إلا بتعليم الكتاب والحكمة، ثم بالترغيب الشديد في العمل والتهريب عن الإخلال بالعمل وهو التزكية"^(١).

وما رجحه الفخر الرازي هو قول أكثر المفسرين، إذ لم يذكر أغلبهم سواه^(٢)، والتزكية مقصد من مقاصد البعثة النبوية؛ قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، قد جاءت التزكية في آية سورة البقرة (١٥١)، وآية سورتي آل عمران والجمعة قبل التعليم؛ لأن التربية الخلقية مقدمة على التربية العملية، قال الدكتور فاضل السامرائي: "هذا الترتيب في الآية لأن آيات القرآن تعلمنا التفكير والمنطق ودقة اللفظ وترتيب الأفكار والله سبحانه وتعالى رتب هذه الصفات على حسب ترتيب وجودها لأن أول تبليغ الرسالة القرآن ثم يكون تعليم معانيه كما في قوله في موضع آخر: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصِتْ لَهُ فَانصِتْ لَهُ فَانصِتْ لَهُ﴾ [البقرة: ١٨]، ثم إن علينا بيانها. [الجمعة: ١٨، ١٩]، فإذا ما حصلت على علم القرآن انتقلت إلى المرحلة الأخيرة وهي التزكية. وهذا يعود إلى ترتيب الأولويات والأهمية في الخطابين، فعندما دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يرسل رسولاً آخر بجانب تزكية الأخلاق إلى آخر مرحلة بعد تلاوة الآيات وتعليمهم الكتاب والحكمة. أما في آية سورة الجمعة وسورة البقرة وسورة آل عمران فالخطاب من الله تعالى بأنه بعث في الأميين رسولاً يتلو عليهم آياته ويذكرهم قبل مرحلة تعليمهم الكتاب والحكمة لأن الجانب الخلقى يأتي قبل الجانب التعليمي، ولأن الإنسان إذا كان غير مركزى في خلقه لن يتلقى الكتاب والحكمة على مُراد الله تعالى والرسول ﷺ من أهم صفاته أنه على خلق عظيم كما شهد له رب العزة بذلك في قوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّنَ

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٤/٥٩، ٦٠، وللإستزادة من الأمثلة بنظر: (٦/٤٢٥)، (٦/٤٢٤)، (٣٢/٢٤٧).

(٢) ومنهم: الطبري، جامع البيان: ٣/٨٨، والسمرقندي، بحر العلوم: ٣/٤٤٧، ومكي بن أبي طالب القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية: (١/٤٥٠).



حُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿﴾ [القلم: ٤] ^(١). وأولى مراحل تبليغ الرسالة تكون بتلاوة القرآن، ثم تزكية النفوس بتعليم الكتاب والحكمة؛ لأنهما يكونان بعد التبليغ والتزكية للنفوس.

٦- صيغة أحسن، ومن أمثلتها: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦]، قال الفخر الرازي: "وفي إقامة التوراة والإنجيل ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن يعملوا بما فيها من الوفاء بعهود الله فيها، ومن الإقرار باشتغالها على الدلائل الدالة على بعثة محمد ﷺ، وثانيها: إقامة التوراة إقامة أحكامها وحدودها كما يقال: أقام الصلاة إذا قام بحقوقها، ولا يقال لمن لم يوف بشرائطها إنه أقامها. وثالثها: أقاموها نصب أعينهم لئلا يزلوا في شيء من حدودها، وهذه الوجوه كلها حسنة، لكن الأول أحسن" ^(٢).

وما رجحه الفخر الرازي هو قول سائر المفسرين، وعلى رأسهم الطبري، والسمعاني، والقرطبي، وابن كثير ^(٣)، وعليه فإن إقامة التوراة والإنجيل يكون بالعمل بهما، وعدم تحريفهما، و"بمراعاة ما فيهما من الأحكام التي من جملتها شواهد نبوة النبي ﷺ، ومبشرات بعثته، فإن إقامتهما إنما تكون بتلك لا بمراعاة جميع ما فيهما من الأحكام لانتساح بعضها بنزول القرآن، فليست مراعاة الكل من إقامتهما في شيء" ^(٤).

٧- صيغة أحق، ومن أمثلتها: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْهُمُونِي وَأُلْهُمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتَ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، بعد أن تحدث الفخر الرازي عن إثبات وجود الجن بالأدلة النقلية والعقلية، قال: "نقول: الأحق والأولى أن يقال: الملائكة على هذا القول مخلوقون من النور، والشياطين مخلوقون من الدخان واللهب، كما قال الله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُورِ﴾ [الحجر: ٢٧] ^(٥).

والقول بأن الجان ليسوا من الملائكة، وأنهم خلقوا من نار الخلاف فيه مشهور، والراجح هو ما دلت عليه النصوص الصريحة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ

(١) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ٣٤٦/١.

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٣٩٨/١٢، والأمثلة على الترجيح بهذا اللفظ كثيرة، وللإستزادة منها ينظر: (٣٥٧/٢)،

(٣) (٥٢٣/٣)، (٦٢٩/٣)، (٦٣٠)، (٤٠٤/٦)، (٤٠٥)، (٤٢٤/٦)، (٤٩٦/٩)، (٤٩٧)، (٤٣٨/١٢)، (١٢٣/١٩)، (٦٠/٢٢).

(٤) تنظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان: ٤٦٢/١٠، تفسير القرآن: ٥٢/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢٤١/٦، تفسير القرآن

العظيم: ١٤٧/٣.

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٦٠/٣.

(٥) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٨٨/١٩.



أَمْرِيَّةٌ أَفْتَحْذُونَهُ، وَذَرِيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿الكهف: ٥٠﴾، وهذه الآية نص صريح في كون إبليس من الجن؛ أما الآيات الأخرى فإنها ظاهر في كونه من الملائكة، ومن المعلوم أن دلالة النص أقوى من دلالة الظاهر، فيقدم الأقوى دلالة. قال الزجاج عند قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ ابْتِغَاءً أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٠ - ٣١]: "(إبليس) مستثنى، وليس من الملائكة إنما هو من الجن، كما قال عز وجل: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾، وهو منصوب استثناء ليس من الأول، كما قال: ﴿فَأْتَهُمْ عَدُوٌّ لِيَ الْإِرْبَابِ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧]"^(١).

٨- صيغة أدق، ومن أمثلتها: قال تعالى: ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [ق: ٣٢]، قال الفخر الرازي: "والأواب الرجاع، قيل هو الذي يرجع من الذنوب ويستغفر، والحفيظ الحافظ الذي يحفظ توبته من النقص. ويحتمل أن يقال الأواب هو الرجاع إلى الله بفكره، والحفيظ الذي يحفظ الله في ذكره، أي: رجع إليه بالفكر فيرى كل شيء واقعا به وموجدا منه، ثم إذا انتهى إليه حفظه بحيث لا ينساه عند الرخاء والنعماء، والأواب والحفيظ كلاهما من باب المبالغة، أي: يكون كثير الأوب شديد الحفظ، وفيه وجوه أخر أدق، وهو أن الأواب هو الذي رجع عن متابعة هواه في الإقبال على ما سواه، والحفيظ هو الذي إذا أدركه بأشرف قواه لا يتركه فيكمل بما تقواه، ويكون هذا تفسيرا للمتقي؛ لأن المتقي هو الذي اتقى الشرك والتعطيل ولم ينكره ولم يعترف بغيره، والأواب هو الذي لا يعترف بغيره ويرجع عن كل شيء غير الله تعالى، والحفيظ هو الذي لم يرجع عنه إلى شيء مما عده"^(٢). ويظهر أن كل المعاني المذكورة يحتملها اللفظ، وتكون من قبيل التفسير بالمثال؛ فالأواب هو الذي اعتاد الرجوع إلى الله في كل أموره، والحفيظ هو الذي يحفظ الأمر والنهي"^(٣).

٩- صيغة أدل، ومن أمثلتها، قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. قال الفخر الرازي: "قرئ: (كلم الله) بالنصب"^(٤)، والقراءة الأولى أدل على

(١) معاني القرآن وإعرابه: ١٧٩/٣.

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ١٤٥/٢٨.

(٣) تفسير القرآن، للسمعاي: ٢٤٥/٥.

(٤) هي قراءة شاذة، قال أبو حيان: "قرأ الجمهور بالتشديد ورفع الجلالة، والعائد على: (من)، محذوف تقديره: (من كلمه)، وقرئ بنصب الجلالة والفاعل مستتر في: (كلم)، يعود على: (من)، ورفع الجلالة أتم في التفضيل من النصب، إذ الرفع يدل على الحضور والخطاب منه تعالى للمتكلم، والنصب يدل على الحضور دون الخطاب منه. البحر المحيط في التفسير: ٦٠٠/٢.



الترجيح بصيغة أفعال التفضيل عند الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب). أ.د/ عبد الله المنصوري

الفضل^(١)؛ لأن كل مؤمن فإنه يكلم الله على ما قال عليه السلام: «المصلي مناج ربه»^(٢)، إنما الشرف في أن يكلمه الله تعالى^(٣).

والقراء مجمعون على القراءة الأولى: (كلم الله)، قال الأخفش: "أي: كلمه الله، فلفظ الجلالة في ذا الموضوع رفع"^(٤). والترجيح بهذه الصيغة (أدل) ورد عند الفخر الرازي في القراءات فقط.

١٠- صيغة أرجح، ومن أمثلتها: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥] قال الفخر الرازي: "في الآية قولان، الأول: إنها خطاب الأولياء، فكأنه تعالى قال: أيها الأولياء لا تؤتوا الذين يكونون تحت ولايتكم، وكانوا سفهاء أموالهم. والدليل على أنه خطاب الأولياء قوله: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾، وأيضاً فعلى هذا القول يحسن تعلق الآية بما قبلها. والقول الثاني: إن هذه الآية خطاب الآباء فنهاهم الله تعالى إذا كان أولادهم سفهاء لا يستقلون بحفظ المال وإصلاحه أن يدفعوا أموالهم أو بعضها إليهم، لما كان في ذلك من الإفساد، فعلى هذا الوجه يكون إضافة الأموال إليهم حقيقة، وعلى هذا القول يكون الغرض من الآية الحث على حفظ المال والسعي في أن لا يضيع ولا يهلك... وقد ذكرنا أن القول الأول أرجح لوجهين، ومما يدل على هذا الترجيح أن ظاهر النهي للتحريم، وأجمعت الأمة على أنه لا يحرم عليه أن يهب من أولاده الصغار ومن النسوان ما شاء من ماله، وأجمعوا على أنه يحرم على الولي أن يدفع إلى السفهاء أموالهم، وإذا كان كذلك وجب حمل الآية على القول الأول لا على هذا القول الثاني، والله أعلم. الثاني: أنه قال في آخر الآية: ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾، ولا شك أن هذه الوصية بالأيتام أشبه، لأن المرء مشفق بطبعه على ولده، فلا يقول له إلا المعروف، وإنما يحتاج إلى هذه الوصية مع الأيتام الأجانب، ولا يمتنع أيضاً حمل الآية على كلا الوجهين"^(٥).

وقد حشد الفخر الرازي في ترجيحه هنا جملة من القواعد والأدلة، ومنها السياق البعدي (اللاحق)، وكذلك التناسب مع السياق القبلي (السباق)، وعضد ذلك بحكاية الإجماع، وختام الآية، وبعد هذا الترجيح بالأدلة لم يغلق باب فهم الآية فأشار إلى أنه لا يمتنع حملها على الوجهين، وهذا يدل على عمق فهمه، واحتياطه. وجعل الخطاب للأولياء هو قول الطبري وغيره من المفسرين كالطبري، والزمخشري، والنسفي^(٦). ولا مانع من حمل الآية على الأولياء الآباء. والله أعلم.

(١) وهي (من كلم الله) أي من كلمه الله، قال الهمداني: "اتفق القراء الأربعة عشر على رفع الجلالة من قوله تعالى: (مَنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ) على الفاعلية والضمير المحذوف العائد على الموصول هو المفعول، ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص ٢٠٧.

(٢) مسند أحمد: (٥٢٣/٨)، السنن الكبرى، للبيهقي: ٣٧٧/٥، قال الهيثمي: "ورجاله رجال الصحيح". ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٢٦٥/٢.

(٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٥٢٦/٦، وللإستزادة من الأمثلة ينظر: (٥٩٤/٣)، (٣٨٦/٢٩).

(٤) معاني القرآن: ١٩٥/١، وينظر: إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه، ص ٣٦٧.

(٥) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٤٩٤/٩، ٤٩٥، وينظر للإستزادة: (٨٩/١٠)، (١٢٣/١٩)، (٢٧٣/٣٢)، (٢٧٤).

(٦) تنظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان: (٣٩٤/٦)، الكشف: ٤٧١/١، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣٣٠/١.



١١- صيغة أرق: ومن أمثلتها: قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧]، قال الفخر الرازي: "لما أمر الله تعالى المؤمنين بالمهاجرة صعب عليهم ترك الأوطان ومفارقة الإخوان، فقال لهم إن ما تكرهون لا بد من وقوعه، فإن كل نفس ذائقة الموت، والموت مفرق الأحباب فالأولى أن يكون ذلك في سبيل الله فيجازيكم عليه، فإن إلى الله مرجعكم، وفيه وجه أرق وأدق، وهو أن الله تعالى قال: (كل نفس) إذا كانت غير متعلقة بغيرها فهي للموت، ثم إلى الله ترجع فلا تموت كما قال تعالى: (لا يذوقون فيها الموت) [الدخان: ٥٦]"^(١).

١٢، ١٣- صيغتا أسد وأشد، ومن أمثلتها، قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧]، المراد منه جميع الكفار أو بعضهم، فيه قولان: الأول: المراد بالإخبار عن جميع الكفار، وذلك لأن إنفاقهم إما أن يكون لمنافع الدنيا أو لمنافع الآخرة فإن كان لمنافع الدنيا لم يبق منه أثر ألبتة في الآخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر وإن كان لمنافع الآخرة لم ينتفع به في الآخرة لأن الكفر مانع من الانتفاع به، فثبت أن جميع نفقات الكفار لا فائدة فيها في الآخرة، ولعلمهم أنفقوا أموالهم في الخيرات نحو بناء الرباطات والقناطر والإحسان إلى الضعفاء والأيتام والأرامل، وكان ذلك المنفق يرجو من ذلك الإنفاق خيرا كثيرا فإذا قدم الآخرة رأى كفره مبطلا لآثار الخيرات، فكان كمن زرع وزعا وتوقع منه نفعا كثيرا فأصابته ريح فأحرقته فلا يبقى معه إلا الحزن والأسف، هذا إذا أنفقوا الأموال في وجوه الخيرات أما إذا أنفقوها فيما ظنوه أنه الخيرات لكنه كان من المعاصي، مثل إنفاق الأموال في إيذاء الرسول ﷺ، وفي قتل المسلمين وتخريب ديارهم، فالذي قلناه فيه أسد وأشد، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْتُهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩] فكل ذلك يدل على الحسنات من الكفار لا تستعقب الثواب، وكل ذلك مجموع في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] وهذا القول هو الأقوى والأصح...والقول الثاني: المراد منه الإخبار عن بعض الكفار..."^(٢).

وقد استعمل الفخر الرازي في ترجيحه هنا أربع صيغ: (أسد، أشد، أقوى، أصح)، وترجيحه هو الصحيح الذي تدل عليه النصوص المتقدم ذكرها في ترجيح، ولا وجه لتخصيص الآية، فالقول بالعموم هو ما يناسب سياق الآية التي قبلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٧٠/٢٥.

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٣٣٧/٨، وينظر للاستزادة: ٢٨٧/٢٩.

وَأَوْلِيَاكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ [آل عمران: ١١٦].

كما أن القول بنزولها في بعض الكفار كأبي سفيان لا ينطبق؛ لكونه قد أسلم. ويكاد يطبق المفسرون على أن المقصود هم الكفار جميعاً^(١).

١٤- صيغة أشرف: ومن أمثلتها: قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهِةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ [يس: ٥٧] قال الفخر الرازي: "أي: ما يتمنونه، والعرب تقول: ادع ما شئت علي، أي: تمنّ. وقال ابن جريج: أخبرت أن قوله: (دعواهم فيها سبحانك اللهم) هو أنه إذا مر بهم طير يشتهونه قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم الملك بذلك المشتبه، فقد خرج تأويل الآية من هذا الوجه، على أنهم إذا اشتهاوا الشيء قالوا سبحانك اللهم، فكان المراد من دعواهم ما حصل في قلوبهم من التمني، وفي هذا التفسير وجه آخر هو أفضل وأشرف مما تقدم، وهو أن يكون المعنى أن تمنّيهم في الجنة أن يسبحوا الله تعالى، أي: تمنّيهم لما يتمنونه، ليس إلا في تسيح الله تعالى وتقديسه وتنزيهه"^(٢).

قال الماوردي: "فيه أربعة تأويلات: أحدها: ما يشتهون، قاله يحيى بن سلام. الثاني: ما يسألون، قاله ابن زياد. الثالث: ما يتمنون، قاله أبو عبيدة. الرابع: ما يدعونه فيأتيهم، قاله الكلبي قال الزجاج: وهو مأخوذ من الدعاء. ويحتمل خامساً: ما يدعون أنه لهم فهو لهم لا يدفعون عنه، وهم مصروفون عن دعوى ما لا يستحقون"^(٣). والجملة الكريمة عامة، فتشمل كل ما يتمنونه مما هو خير.

١٥، ١٦- صيغتا أشبه وأفضل، ومن أمثلتها: قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧]، قال الفخر الرازي: "اختلفوا في تفسير هذا الإنفاق على قولين الأول: أن المراد بالإنفاق هاهنا هو جميع أعمالهم التي يرجون الانتفاع بها في الآخرة سماه الله إنفاقاً، كما سمي ذلك بيعاً وشراءً في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١]، إلى قوله: ﴿فَاسْتَبَشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به﴾ [التوبة: ١١١]، ومما يدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى: ﴿لَنْ نَأْخُذَ بِكُفْرانِكُمْ حَتَّىٰ تَتَّقُوا مِمَّا كُفَرْتُمْ﴾ [البقرة: ١٨٨] والمراد جميع أنواع الانتفاعات. والقول الثاني: وهو الأشبه أن المراد إنفاق الأموال، والدليل عليه ما قبل هذه الآية، وهو قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠]"^(٤).

(١) ينظر على سبيل المثال: جامع البيان: ٧٠٣/٥، بحر العلوم: ٢٤٠/١، الهداية إلى بلوغ النهاية: ١١٠٣/٢ وغيرها.

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢١٥/١٧).

(٣) النكت والعيون: ٢٦/٥.

(٤) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٣٧/٨)، والأمثلة على الترجيح بهذا اللفظ كثيرة، وللإستزادة منها ينظر: (٥٠٧/١٢)،

(٥٤٦/٣)، (٢١١/٥)، (٢١٧/٥)، (٢٩٣/٥)، (٢٢٧/٢٦)، (١٦٤/٢٢)، (٥٤٠/٣٠)، (٧٥١/٣٠)، (٦٠١/٣٠).



وقد اعتمد الفخر الرازي في ترجيحه هنا على سياق الآية القبلي، والآية تشمل كل مال ينفق في غير طاعة الله، قال ابن القيم: "هذا مثل ضربه الله تعالى لمن أنفق ماله في غير طاعة ربه ومرضاته. فشبهه سبحانه ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء، وحسن الذكر، ولا يبتغون به وجه الله، وما ينفقونه ليرصدوا به عن سبيل الله وأتباع رسله- بالزرع الذي يزرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره، فأصابته ريح شديدة البرد جدا، يحرق بردها كل ما يمر عليه من الزرع والثمار، فأهلك ذلك الزرع وأبيسته"^(١).

١٧- صيغة أشهر: ومن أمثلتها: قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] قال الفخر الرازي: "أما قوله: (ويعقوب) ففيه قولان؛ الأول: وهو الأشهر أنه معطوف على (إبراهيم)، والمعنى: أنه وصى كوصية إبراهيم. والثاني: قرئ: (ويعقوب) بالنصب عطفا على (بنية)^(٢)، ومعناه: وصى إبراهيم بنيه، وناقلته يعقوب"^(٣). والقول الأول هو الذي أجمع عليه المفسرون^(٤).

١٨، ١٩- صيغتا أصح وأقوى: ومن أمثلتها، قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كثيرةً وَاللَّهُ يَقِضُ وَيَبْطِئُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، قال الفخر الرازي: "التضعيف والإضعاف والمضاعفة واحد وهو الزيادة على أصل الشيء حتى يبلغ مثلين أو أكثر، وفي الآية حذف، والتقدير: فيضاعف ثوابه. أما قوله تعالى: ﴿أضعافًا كثيرةً﴾ فمنهم من ذكر فيه قدرًا معينًا، وأجود ما يقال فيه: إنه القدر المذكور في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] فيقال: يحمل الحمل على المفسر؛ لأن كلتا الآيتين وردتا في الإنفاق، ويمكن أن يجاب عنه بأنه تعالى لم يقتصر في هذه الآية على التحديد، بل قال بعده: ﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. والقول الثاني: وهو الأصح، واختيار السدي: أن هذا التضعيف لا يعلم أحد ما هو؟ وكم هو؟ وإنما أجهم تعالى ذلك؛ لأن ذكر المبهم في باب الترغيب أقوى من ذكر المحدود"^(٥). وقد ذكر كل من الطبري ومكي بن أبي طالب والماوردي القولين دون ترجيح بينهما^(٦). وعطاء الله لا حدود له.

(١) التفسير القيم، ص ٢١٨.

(٢) هي قراءة عمرو بن فايد، وهي قراءة شاذة، ينظر: مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه، ص ١٧.

(٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٢٦٧/١١، وللإستزادة ينظر: (٤/٦٤)، (٢٦/٢٧١)، (٢٨/٧٥)، (٢٨/١١٤)، (٢٨/١٥٧)، (٢٩/٢٨٦)، (٢٩/٣٧٧).

(٤) ينظر على سبيل المثال: جامع البيان، للطبري: ٥٨٢/٢، بحر العلوم، للسمرقندي: ٩٥/١، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للعليني: ١٤١/٤، الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب القيسي: ٤٥٥/١، وغيرهم.

(٥) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٥٠٠/٦، ٥٠١، وينظر للإستزادة: (٥/٣٤٤)، (٧/٦٥)، (١٢/٥٣١)، (٨/٣٣٧)، (٢٦/٢٥٤).

(٦) تنظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان: ٤٢٩/٤ - ٤٣١، الهداية إلى بلوغ النهاية: ٨١٢/١، النكت والعيون: ٣١٣/١.



٢٠ - صيغة أصوب: ومن أمثلتها، قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَايَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]، قال الفخر الرازي: "اختلفوا في (الأمي) فقال بعضهم: هو من لا يقر بكتاب ولا برسول. وقال آخرون: من لا يحسن الكتابة والقراءة وهذا الثاني أصوب؛ لأن الآية في اليهود وكانوا مقرين بالكتاب والرسول، ولأنه عليه الصلاة والسلام قال: «نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»^(١)، وذلك يدل على هذا القول، ولأن قوله: (لا يعلمون الكتاب) لا يليق إلا بذلك"^(٢).

فقد عضد الفخر الرازي ترجيحه بقاعدتين هما السياق البعدي، وكذلك بالسنة النبوية، وهما من أهم قواعد الترجيح عند المفسرين، قال ابن جزى الكلبي: "وأما وجوه الترجيح فهي اثنا عشر... الثاني: حديث النبي؛ فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء من القرآن عولنا عليه لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح... السادس: أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده"^(٣). وما رجحه الرازي هو ما قال به غالب المفسرين، ومنهم: الطبري، والزجاج، والسمرقندي، والسمعاني، وغيرهم^(٤).

٢١ - أظهر: يعتد الفخر الرازي بهذه الصيغة ويجعلها من ألفاظ الترجيح المهمة عنده فيقول: "فكل ما كان أظهر دلالة كان أقوى إفادة، وكان أولى بالذكر"^(٥).

ومن أمثلة الترجيح بهذه الصيغة عنده قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَأْرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُمِرَ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، قال الفخر الرازي: "وفي المراد بالكتاب قولان: القول الأول: المراد منه الكتاب المحفوظ في العرش وعالم السماوات المشتمل على جميع أحوال المخلوقات على التفصيل التام، كما قال عليه السلام: «جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة»^(٦)، والقول الثاني: أن المراد منه القرآن، وهذا أظهر لأن الألف واللام إذا دخلا على الاسم المفرد انصرف إلى المعهود السابق، والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن، فوجب أن يكون المراد من الكتاب في هذه الآية القرآن"^(٧).

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ: (لا نكت ولا نحسب)، الحديث رقم: (١٩١٣)، ٢٧/٣، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، والفطر لرؤية الهلال، وأنه إذا غم في أوله أو آخره أكملت عدة الشهر ثلاثين يوماً، الحديث رقم: (١٠٨٠)، ٧٦١/٢.

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٥٦٤/٣، وينظر للاستزادة: (٤٧٥/٣)، (٢٩٦/٨)، (٢٨٨/٢٠)، (٥٦٨/٢٧).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: (١٩/١).

(٤) تنظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان: ١٥٣/٢، معاني القرآن وأعرابه: ١٥٩، بحر العلوم: ٦٦/١، تفسير القرآن: ٩٩/١.

(٥) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: (٣٣٦، ٣٣٥/٢).

(٦) المسند، الحديث رقم: (٢٨٠٣)، ١٩/٥. وقال الألباني: "قلت: وإسناده صحيح رجاله كلهم ثقات" «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها»: (٦٤/٣).

(٧) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٥٢٦/١٢، وينظر للاستزادة: (٥٦٣/٣)، (٣٦٠/٥)، (٤٧١/٦)، (٥٣٩/٢١)، (٥٤٠، ٤٣٨/١٥)، (٣٢٩/١٧)، (٣٤٠/٢٦).



ومن المعلوم أن للمفسرين قولين مشهورين في المراد بالكتاب في الآية؛ الأول: إنه اللوح المحفوظ، والثاني إنه القرآن، قال الماوردي: "والتأويل الثاني: وهو قول الجمهور: إن الكتاب هو القرآن الكريم الذي أنزله، ما أخل فيه بشيء من أمور الدين، إما مُفَصَّلًا يَسْتَعْنِي عن التفسير، أو مُجْمَلًا جعل إلى تفسيره سبيلًا"^(١)، ولم يذكر البغوي إلا القول الأول، وكذلك الزمخشري^(٢).

ومال ابن عطية لمثل ترجيح الفخر الرازي فقال: "والكتاب القرآن، وهو الذي يقتضيه نظام المعنى في هذه الآيات"^(٣).

٢٢- صيغة أعم: ومن أمثلتها، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، قال الفخر الرازي: "وقوله: (فقد احتملوا بهتاناً) البهتان: هو الزور، وهو لا يكون إلا في القول، والإبذاء قد يكون بغير القول، فمن آذى مؤمناً بالضرب أو أخذ ماله لا يكون قد احتمل بهتاناً، فنقول: المراد والذين يؤذون المؤمنين بالقول. وهذا لأن الله تعالى أراد إظهار شرف المؤمن، فلما ذكر أن من آذى الله ورسوله لعن، وإبذاء الله بأن ينكر وجود الله بعد معرفة دلائل وجوده أو يشرك به من لا يبصر ولا يسمع أو من لا يقدر ولا يعلم أو من هو محتاج في وجوده إلى موجد، وهو قول ذكر إبذاء المؤمن بالقول، وعلى هذا خص الأنبياء بالقول بالذكر لأنه أعم وأتم"^(٤).

٢٣- صيغة أقرب، وهذه أكثر الصيغ وروداً عند الفخر الرازي، وقد وردت معرفةً ومنكراً، وقد اعتبر الفخر الرازي القرب من أهم المرجحات، ومن ذلك قوله: "والقرب مرجح، فإعمال الأقرب أولى"^(٥)، وقوله: "متى تعذر العمل بالحقيقة وحصل للحقيقة مجازان: أحدهما: أقرب إلى الحقيقة. والثاني: أبعد فإنه يجب حمل اللفظ على المجاز الأقرب"^(٦).

ومن أمثلة هذه الصيغة قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]، قال الفخر الرازي: "واختلفوا في المراد بمؤلاء المتبوعين على وجوه؛ أحدها: أنهم السادة والرؤساء من مشركي الإنس... وثانيها: أنهم شياطين الجن الذين صاروا متبوعين للكفار بالوسوسة... وثالثها: أنهم شياطين الجن والإنس. ورابعها: الأوثان الذين كانوا يسمونها بالألهة. والأقرب هو الأول؛ لأن الأقرب في الذين اتَّبَعُوا أنهم الذين يصح منهم الأمر والنهي حتى يمكن أن يُتَّبَعُوا وذلك لا يليق بالأصنام، ويجب أيضاً

(١) النكت والعيون: ١١٢/٢.

(٢) تنظر تفاسيرهم على التوالي: معالم التنزيل: ١٤٢/٣، الكشاف: ٢١١/٢.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٩٠/٢.

(٤) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ١٨٣/٢٥. وينظر للاستزادة: (٤٠/٢٨).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٦٥/١).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٧٠/١).



حملهم على السادة من الناس؛ لأنهم الذين يصح وصفهم من عظمهم بأنهم يحبونهم كحب الله دون الشياطين، ويؤكد قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَعْطَيْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٧] (١). وهو قول كثير من المفسرين، ومنهم: الطبري، الزجاج، والسمرقندي، والسمعاني (٢)، وقال البغوي: "هذا قول أكثر المفسرين" (٣).

٢٤- صيغة أكمل: ومن أمثلتها، قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١٣]، قال الفخر الرازي: "في تفسير هذا السكون قولان: الأول: أن المراد منه الشيء الذي سكن بعد أن تحرك، فعلى هذا، المراد كل ما استقر في الليل والنهار من الدواب، وجملة الحيوانات في البر والبحر، وعلى هذا التقدير: قالوا في الآية محذوف والتقدير: وله ما سكن وتحرك في الليل والنهار، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَابًا تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أراد الحر والبرد، فاكفى بذكر أحدهما عن الآخر؛ لأنه يعرف ذلك بالقرينة المذكورة، كذلك هنا حذف ذكر الحركة، لأن ذكر السكون يدل عليه. والقول الثاني: أنه ليس المراد من هذا السكون ما هو ضد الحركة، بل المراد منه السكون بمعنى الحلول. كما يقال: فلان يسكن بلد كذا إذا كان محله فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥] وعلى هذا التقدير: كان المراد، وله كل ما حصل في الليل والنهار. والتقدير: كل ما حصل في الوقت والزمان سواء كان متحركاً أو ساكناً، وهذا التفسير أولى وأكمل" (٤).

ولعل ترجيح القرطبي أولى؛ حيث حمل الآية على العموم، فقال: "وقيل المعنى: ما خلق، فهو عام في جميع المخلوقات متحركها وساكنها، فإنه يجري عليه الليل والنهار، وعلى هذا فليس المراد بالسكون ضد الحركة بل المراد الخلق، وهذا أحسن ما قيل؛ لأنه يجمع شتات الأقوال" (٥).

٢٥- صيغة اللطف: ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]، قال الفخر الرازي: "قال ابن عباس: كان المشركون إذا أقبلوا بوجوههم إلى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيف، وإذا ولوا ضربوا أديبارهم، فلا جرم قابلهم الله بمنته في وقت نزح الروح. وأقول فيه معنى آخر ألطف منه، وهو أن روح الكافر إذا خرج من جسده فهو معرض

(١) انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٤/١٨٠)، وللاستزادة ينظر: (٢/٣٧٧)، (٣/٥٢٣)، (٤/١١٢)، (٢٣/٢٨١).

(٢) تنظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان: ٣/٢٥، معاني القرآن وإعرابه: ١/٢٣٩، بحر العلوم: ١/١١١، تفسير القرآن: ١٦٥/١.

(٣) معالم التنزيل: ١/١٧٩.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٢/٤٩١)، وللاستزادة ينظر: (٩/٤٣١).

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٦/٣٩٦.



الترجيح بصيغة أفعال التفضيل عند الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب). أ.د/ عبد الله المنصوري

عن عالم الدنيا مقبل على الآخرة، وهو لكفره لا يشاهد في عالم الآخرة إلا الظلمات، وهو لشدة حبه للجسمانيات، ومفارقتها لها لا ينال من مبادئه عنها إلا الآلام والحسرات، فسبب مفارقتها لعالم الدنيا تحصل له الآلام بعد الآلام والحسرات، وبسبب إقباله على الآخرة مع عدم النور والمعرفة، ينتقل من ظلمات إلى ظلمات، فهاتان الجهتان هما المراد من قوله: (يضربون وجوههم وأدبارهم)^(١).

ويبدو لي أن الضرب حقيقة وليس مجازاً كما يفهم من ترجيح الفخر الرازي، قال ابن كثير المعنى: "يقول تعالى: ولو عاينت يا محمد حال توفي الملائكة أرواح الكفار، لرأيت أمراً عظيماً هائلاً فظيماً منكراً؛ إذ يضربون وجوههم وأدبارهم، ويقولون لهم: (ذوقوا عذاب الحريق)"^(٢).

٢٦- صيغة أليق: ومن أمثلتها: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة: ١٣٩]، قال الفخر الرازي: "هذه الحاجة كانت مع من؟ ذكروا فيه وجوهها؛ أحدها: أنه خطاب لليهود والنصارى. وثانيها: أنه خطاب مع مشركي العرب حيث قالوا: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، والعرب كانوا مقرين بالخالف. وثالثها: أنه خطاب مع الكل، والقول الأول أليق بنظم الآية"^(٣).

وما رجحه الفخر الرازي هو قول أكثر المفسرين؛ ومنهم: الطبري، والزجاج، والسمرقندي، ومكي بن أبي طالب، وغيرهم^(٤).

٢٧- صيغة أوجه: ومن أمثلتها: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَهِنَ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، قال الفخر الرازي: "ثم هاهنا قولان: أحدهما: (ربنا واجعلنا مسلمين لك) أي: موحدين مخلصين لا نعبد إلا إياك. والثاني: قائمين بجميع شرائع الإسلام، وهو الأوجه لعمومه"^(٥).

(١) انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٤٩٤/١٥، وللاستزادة ينظر: (٣٠٨/٨)، (٥٧/٢٥)، (٦٣/٢٥)، (١٦٨/٢٨)، (١٩١/٢٨)، (٤١٧/٢٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٧٦/٤.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٧٦/٤، وينظر للاستزادة من الأمثلة: (٥٦٠، ٥٥٩/٣)، (٧٢/٤)، (١٠٦/٤)، (٢٠٣/٥)، (١٥٩/٢٢).

(٤) تنظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان: ٦٠٧/٢، معاني القرآن وإعرابه: ٢١٧/١، بحر العلوم: ٩٨/١، الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٧١/١.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٥٤/٤، وينظر للاستزادة من الأمثلة: (١٨٦/٢٢)، (٢٣٣/٣٢).



والمعنى الأول هو قول أكثر المفسرين، ومنهم الطبري، والزجاج، والتعلي، والسمعاني، والبغوي، وغيرهم^(١). والمعنيان متداخلان إلا أن الأول أُلصق بمعنى الإسلام في اللغة، والثاني أعم. والله أعلم.

٢٨- صيغة أوضح: ومن أمثلتها، قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة: ٢١٠]، قال الفخر الرازي: "اختلف أهل الكلام في قوله: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله وذكروا فيه وجوها. الوجه الأول: وهو مذهب السلف الصالح أنه لما ثبت بالدلائل القاطعة أن المجيء والذهاب على الله تعالى محال، علمنا قطعاً أنه ليس مراد الله تعالى من هذه الآية هو المجيء والذهاب، وأن مراده بعد ذلك شيء آخر فإن عيننا ذلك المراد لم نأمن الخطأ، فالأولى السكوت عن التأويل، وتفويض معنى الآية على سبيل التفصيل إلى الله تعالى، وهذا هو المراد بما روي عن ابن عباس أنه قال: نزل القرآن على أربعة أوجه: وجه لا يعرفه أحد لجهالته، ووجه يعرفه العلماء ويفسرونه ووجه نعرفه من قبل العربية فقط، ووجه لا يعلمه إلا الله... الوجه الثالث: وهو قول جمهور المتكلمين: أنه لا بد من التأويل على سبيل التفصيل ثم ذكروا فيه وجوها الأول: المراد هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أي آيات الله فجعل مجيء الآيات مجيئاً له على التفتيح لشأن الآيات... فلما كان المقصود من الآية إنما هو الوعيد والتهديد، وجب أن يضم في الآية مجيء الهيبة والقهر والتهديد، ومتى أضمرنا ذلك زالت الشبهة بالكلية، وهذا تأويل حسن موافق لنظم الآية. والوجه الثاني: في التأويل أن يكون المراد هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أي أمر الله، ومدار الكلام في هذا الباب أنه تعالى إذا ذكر فعلاً وأضافه إلى شيء، فإن كان ذلك محالاً فالواجب صرفه إلى التأويل... الوجه الثالث: في التأويل أن المعنى: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بما وعد من العذاب والحساب، فحذف ما يأتي به تهويلاً عليهم... ولا شك أن هذا مجاز مشهور. الوجه الرابع: في التأويل أن يكون في معنى الباء، وحروف الجر يقام بعضها مقام البعض، وتقديره هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة، والمراد العذاب الذي يأتيهم في الغمام مع الملائكة. الوجه الخامس: أن المقصود من الآية تصوير عظمة يوم القيامة وهولها وشدتها... الوجه السادس: وهو أوضح عندي من كل ما سلف: أننا ذكرنا أن قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلِيرِ كَافَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨] إنما نزلت في حق اليهود، وعلى هذا التقدير فقوله: ﴿ فَإِنْ زَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٠٩] يكون خطاباً مع اليهود، وحينئذ يكون قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] حكاية عن اليهود، والمعنى: (أنهم لا يقبلون دينك إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة، ألا ترى أنهم فعلوا مع موسى مثل ذلك فقالوا: ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾

(١) ننظر تفاسيرهم على التوالي: جامع البيان: ٥٦٥/٢، معاني القرآن وإعرابه: ٢٠٨/١، الكشف والبيان عن تفسير القرآن:

١١٥/٤، تفسير القرآن: ١٣٩/١، معالم التنزيل: ١٥٠/١.



[البقرة: ٥٥]، وإذا كان هذا حكاية عن حال اليهود ولم يمنع إجراء الآية على ظاهرها، وذلك لأن اليهود كانوا على مذهب التشبيه، وكانوا يجوزون على الله المجيء والذهاب، وكانوا يقولون: إنه تعالى تجلّى لموسى عليه السلام على الطور في ظلل من الغمام وطلبوا مثل ذلك في زمان محمد عليه الصلاة والسلام وعلى هذا التقدير يكون هذا الكلام حكاية عن معتقد اليهود القائلين بالتشبيه، فلا يحتاج حينئذ إلى التأويل، ولا إلى حمل اللفظ على المجاز، وبالجملة فالآية تدل على أن قوما ينتظرون أن يأتيهم الله، وليس في الآية دلالة على أنهم محقون في ذلك الانتظار أو مبطلون^(١).

هذه الآية اختلف في تأويلها المفسرون، وذهبت بعض الفرق في بيانها مذاهب بعيدة لا مستند لها من نقل أو عقل^(٢)، وخالصة معناها: "ما ينتظر هؤلاء المتبعون مسالك الشيطان المائلون عن طريق الحق إلا أن يأتيهم الله يوم القيامة إتياناً يليق بجلاله سبحانه، في ظلل من السحاب للقضاء بينهم، وتأتيهم الملائكة محيطة بهم من كل جانب، وعندئذ يُقضى أمر الله فيهم، ويُفرغُ منه، وإلى الله سبحانه وحده ترجع أمور الخلائق وشؤونهم"^(٣).

٢٩ - صيغة أوفى: ومن أمثلتها، قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَئَصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبَعُولَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، قال الفخر الرازي: "فاعلم أنه

(١) انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٣٥٨/٥-٣٦١، وينظر للاستزادة: (٢٩/٣٦٨).

(٢) قال السعدي: "وهذه الآية وما أشبهها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، المتبتين للصفات الاختيارية، كالاستواء، والنزول، والمجيء، ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى، عن نفسه، أو أخبر بها عنه رسوله صلى الله عليه وسلم، فيثبتها على وجه يليق بجلال الله وعظمته، من غير تشبيه ولا تحريف، خلافا للمعطلة على اختلاف أنواعهم، من الجهمية، والمعتزلة، والأشعرية ونحوهم، ممن ينفي هذه الصفات، ويتأول لأجلها الآيات بتأويلات ما أنزل الله عليها من سلطان، بل حقيقتها القدر في بيان الله وبيان رسوله، والزعم بأن كلامهم هو الذي تحصل به الهداية في هذا الباب، فهؤلاء ليس معهم دليل نقلي، بل ولا دليل عقلي، أما النقلي فقد اعترفوا أن النصوص الواردة في الكتاب والسنة، ظاهرها بل صريحها، دال على مذهب أهل السنة والجماعة، وأنها تحتاج لدلائلها على مذهبهم الباطل، أن تخرج عن ظاهرها ويزاد فيها وينقص، وهذا كما ترى لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من إيمان. وأما العقل فليس في العقل ما يدل على نفي هذه الصفات، بل العقل دل على أن الفاعل أكمل من الذي لا يقدر على الفعل، وأن فعله تعالى المتعلق بنفسه والمتعلق بخلقه هو كمال، فإن زعموا أن إثباتها يدل على التشبيه بخلقه، قيل لهم: الكلام على الصفات، يتبع الكلام على الذات، فكما أن الله ذاتا لا تشبهها الذوات، فله صفات لا تشبهها الصفات، فصفاته تبع لذاته، وصفات خلقه، تبع لذواتهم، فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه بوجه. ويقال أيضا، لمن أثبت بعض الصفات، ونفى بعضا، أو أثبت الأسماء دون الصفات: إما أن تثبت الجميع كما أثبت الله لنفسه، وأثبت رسوله، وإما أن تنفي الجميع، وتكون منكرا لرب العالمين، وأما إثباتك بعض ذلك، ونفيك لبعضه، فهذا تناقض، ففرق بين ما أثبتته، وما نفيتته، ولن تجد إلى الفرق سبيلا فإن قلت: ما أثبتته لا يقتضي تشبيها، قال لك أهل السنة: والإثبات لما نفيتته لا يقتضي تشبيها، فإن قلت: لا أعقل من الذي نفيتته إلا التشبيه، قال لك النفاة: ونحن لا نعقل من الذي أثبتته إلا التشبيه، فما أوجب به النفاة، أوجبك به أهل السنة، لما نفيتته. والحاصل أن من نفى شيئا وأثبت شيئا مما دل الكتاب والسنة على إثباته، فهو متناقض، لا يثبت له دليل شرعي ولا عقلي، بل قد خالف المعقول والمنقول". تيسير الكريم الرحمن، (ص: ٩٤).

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم، (ص: ٣٢).



تعالى لما بين أنه يجب أن يكون المقصود من المراجعة إصلاح حالها، لا إيصال الضرر إليها بين أن لكل واحد من الزوجين حقا على الآخر. واعلم أن المقصود من الزوجين لا يتم إلا إذا كان كل واحد منهما مراعيًا حق الآخر، وتلك الحقوق المشتركة كثيرة، ونحن نشير إلى بعضها فأحدها: أن الزوج كالأمرير والراعي، والزوجة كالمأمور والرعية، فيجب على الزوج بسبب كونه أميرا وراعيا أن يقوم بحقها ومصالحها، ويجب عليها في مقابلة ذلك إظهار الانقياد والطاعة للزوج. وثانيها: روي عن ابن عباس أنه قال: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي» لقوله تعالى: (ولهن مثل الذي عليهن). وثالثها: ولهن على الزوج من إرادة الإصلاح عند المراجعة، مثل ما عليهن من ترك الكتمان فيما خلق الله في أرحامهن، وهذا أوفق لمقدمة الآية^(١).

٣٠- صيغة أولى: وهذه أكثر الصيغ ورودًا عند الفخر الرازي في تفسيره، ومن أمثلتها: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]. قال الفخر الرازي: الضمير في قوله: (يعرفونه) إلى ماذا يرجع؟ ذكروا فيه وجوها؛ أحدها: أنه عائد إلى رسول الله ﷺ، أي: يعرفونه معرفة جلية، يميزون بينه وبين غيره كما يعرفون أبناءهم، لا تشبته عليهم وأبناء غيرهم. عن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله ﷺ، فقال: أنا أعلم به مني بابني، قال: ولم؟ قال: لأني لست أشك في محمد أنه نبي وأما ولدي فلعل والدته خانت. فقَبِلَ عمر رأسه، وجاز الإضمار، وإن لم يسبق له ذكر؛ لأن الكلام يدل عليه، ولا يلتبس على السامع، ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه لشهرته معلوم بغير إعلام. القول الثاني: الضمير في قوله: (يعرفونه) راجع إلى أمر القبلة، أي: علماء أهل الكتاب يعرفون أمر القبلة التي نقلت إليها كما يعرفون أبناءهم، وهو قول ابن عباس وقتادة والربيع وابن زيد. واعلم أن القول الأول أولى من وجوه؛ أحدها: أن الضمير إنما يرجع إلى مذكور سابق، وأقرب المذكورات العلم في قوله: ﴿مَنْ بَدِمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٤٥]، والمراد من ذلك العلم النبوة، فكأنه تعالى قال: إنهم يعرفون ذلك العلم كما يعرفون أبناءهم، وأما أمر القبلة فما تقدم ذكره البتة. وثانيها: أن الله تعالى ما أخبر في القرآن أن أمر تحويل القبلة مذكور في التوراة والإنجيل، وأخبر فيه أن نبوة محمد ﷺ مذكورة في التوراة والإنجيل، فكان صرف هذه المعرفة إلى أمر النبوة أولى. وثالثها: أن المعجزات لا تدل أول دلائلها إلا على صدق محمد عليه السلام، فأما أمر القبلة فذلك إنما يثبت لأنه أحد ما جاء به محمد ﷺ فكان صرف هذه المعرفة إلى أمر النبوة أولى^(٢).

فاعتمد الفخر الرازي هنا على ثلاث قواعد ترجيحية، ومنها: قاعدة الضمير، وهي عود الضمير على أقرب مذكور، وقد قال معتداً بهذه القاعدة: "الضمير إذا وُجِدَ له مذكور متقدم، فرُدَّ إليه أولى من رَدِّه إلى ما لم يُذكَر"^(٣).

(١) انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٤٤٠/٦، وينظر للاستزادة: (١٣٩/٤)، (١٧٤/١٩)، (٤٧٦/٢٤).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: (١١٠/٤-١١٢)، وينظر للاستزادة من الأمثلة: (٥٩٣/٣)، وينظر: (٩٩/١)، (١٧٨/١)، (٢٦٦/١)، (٣٠٥/٢)، (٣٣٧/٢)، (٣٥٠/٢)، (٣٦٥/٢)، (٣٧٤/٢)، (٤٦٤/٣)، (٤٨٣/٣)، (٤٩٩/٣)، (٥٣٢/٣)، (٥٥٥/٣)، (٥٩٣/٣)، (٦٠٨/٣)، (١١/٤).

(٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ١٤٤/٤.



الخلاصة:

بعد هذا التطواف في ترجيحات الفخر الرازي بصيغة (أفعال التفضيل) يطيب لي أن أسجل النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: النتائج:

- ١- حوى التفسير الكبير للفخر الرازي لترجيحات قيمة وبصيغ متعددة، ومنها الترجيح بصيغة أفعال التفضيل.
- ٢- بلغ عدد صيغ ترجيحات الفخر الرازي (٣٠) صيغة.
- ٣- كان الترجيح بصيغة (أولى - الأولى) أكثر الصيغ، وتليها صيغة (أقرب - الأقرب).
- ٤- وافق الفخر الرازي جمهور المفسرين في غالب ترجيحاته.
- ٥- اعتمد الفخر الرازي على عدد وافر من القواعد التي أقام عليها ترجيحاته.
- ٦- نال السياق القبلي والبعدي الصدارة في ترجيحات الفخر الرازي.

ثانياً: التوصيات:

- ١- دراسة صيغ الترجيح عند الإمام القرطبي ومقارنتها بصيغ الترجيح عند أبي حيان.
- ٢- عمل دراسة مقارنة بين ترجيحات الزمخشري والفخر الرازي، حيث كان الرازي ينقل عن الزمخشري كثيراً.

قائمة المصادر المراجع:

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ابن الحاجب، جمال الدين عثمان بن عمر الإسنوي، الكافية في علم النحو، تحقيق: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
- ابن المبرد، جمال الدين يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي، الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقى، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- ابن خالويه، الحسين بن أحمد الهمداني، إعراب القراءات السبع وعللها، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- ابن خالويه، الحسين بن أحمد الهمداني، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبي، القاهرة، تقديم: آثر جفري.
- ابن خلكان، شمس الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم البرمكي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧١م.



- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، التفسير القيم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور المصري الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
- الأخفش، أبو الحسن الجاشعي، معاني القرآن، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- الأزهري، خالد بن عبد الله، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ط ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، دار طوق النجاة، بعناية: محمد زهير الناصر، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- البصري، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط ١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سؤرة، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.



الترجيح بصيغة أفعال التفضيل عند الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب). أ.د/ عبد الله المنصوري

- التعلي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة، ط ١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
- جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، تصنيف: جماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط ٣، ١٤٣٦هـ.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- حسن، عباس، النحو الوافي، مكتبة المعارف، القاهرة، ط ١٥.
- الحملاوي، أحمد بن محمد، شذا العرف في فن الصرف، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن، مكتبة الرشد، الرياض.
- الخان، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
- الخرزجي، أحمد بن قاسم بن خليفة ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- الدمياطي، محمد بن أحمد البناء، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- الزجاج، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- الزخشري، محمود بن عمر، جار الله، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.
- السامرائي، صالح فاضل، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ٣، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٣هـ.
- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم، بحر العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.



الترجيح بصيغة أفعال التفضيل عند الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب). أ.د/ عبد الله المنصوري

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٣٩٦هـ.

الشيبياني، أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.
الصفدي، خليل بن أيك، الواقي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجزيرة، مصر.

العمادي، محمد بن محمد مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط ١، ٢٠٠٨م.
الفخر الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، بالاشتراك، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

القزويني، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.

القزويني، محمد بن يزيد بن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

القشيري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٥٥م.

القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مجموعة من المحققين، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط ١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

الكفوي، أبو البقاء، أيوب بن موسى، الكلبيات، تحقيق: عدنان درويش، بالاشتراك، مؤسسة الرسالة، بيروت.
الكلبي، محمد بن أحمد بن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.

الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ٢٠٠٤م.



الترجيح بصيغة أفعال التفضيل عند الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب). أ.د/ عبد الله المنصوري

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
الميثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.